

أنا وأنت على الطريق

إكرام الأم

ترى، هل تكرمين والدتك يا سيدتي؟ وهل تظهرين لها حبك وتعبرين لها عن ذلك ليس في يوم عيدها فحسب؟ وماذا عن زوجك؟ هل يكرم هو الآخر أمه؟ ويحبها ويقضي الوقت معها؟ تعالي معي نستمع إلى هذه القصة المؤثرة عن زوجين أرادوا إكرام أم الزوج أي الحماة.

تقول القصة إن أحد الأزواج وبعد مرور واحد وعشرين سنة على زواجه بدأ يخرج مع امرأة غير زوجته. "وعبر تلك الأمسيات وجدت بريقا جديدا في الحب.". هذا ما قاله الزوج. بالطبع إنه كلام يثير الدهشة والاستغراب. وتابع يقول: كانت الفكرة هي فكرة زوجتي التي قالت لي: اذهب معها لأنني أعلم تماما كم تحبها... نعم المرأة التي أرادتني زوجتي أن أخرج معها إلى العشاء هي أمي التي ترمّلت منذ تسعة عشر عاما. كانت مشاغل العمل وحياتي اليومية قد شغلني عنها الكثير فلم أكن أزورها إلا نادرا. وفي أحد الأيام اتصلت بها ودعوتها إلى العشاء. سألتني: هل أنت بخير يا ابني؟ لأنه لم تكن معتادة على مكالمات متأخرة فقلقت. قلت لها: نعم أنا ممتاز ولكني أريد أن أقضي بعض الوقت معك يا أمي. قالت: معي أنا؟ وأنا وأنت فقط؟ ثم فكرت قليلا وقالت: أحب ذلك كثيرا. وبعد يومين مررت وأخذتها من البيت. كنت مضطربا قليلا. وعندما وصلت وجدتها هي أيضا قلقة. كانت تنتظرني عند الباب مرتدية ثوبا جميلا. وكان هذا الثوب على ما أعتقد هو آخر فستان اشتراه أبي لها قبل وفاته. ارتسمت على ثغر أمي ابتسامة كبيرة وبدا وجهها كالملاك. وقالت لي: قلت لصديقاتي بأنني سوف أخرج لتناول العشاء مع ابني. ففرحن معي وهن متشوقات لسماع الأخبار التي سوف أقصها عليهن بعد عودتي.

ذهبنا إلى مطعم عادي ولكنه كان جميلا وهادئا. تمسكت أمي بذراعي وكأنها السيدة الأولى. وبعد أن جلسنا بدأت أقرأ لها قائمة الطعام لأن نظرها خفيف. وبينما كنت أقرأ كانت تنظر هي إلي بابتسامة عريضة ارتسمت على شفثيها المجدتين. ثم قاطعني قائلة: كنت أنا من أقرأ لك وأنت صغير. أحببتها والآن حان موعد تسديد شيء من الدين. والآن أنا أقرأ وأنت ترتاحين يا أمه. وهنا تابع الابن حديثه عن موعد عشاءه مع أمه، وقال: تحدثت وأمي أثناء العشاء كثيرا ودار الحديث حول قصص قديمة وأخرى جديدة. ومر الوقت بسرعة. ولم نشعر إلا حين اقتربت الساعة من منتصف الليل. ولما أوصلتها إلى بيتها قالت لي: أوافق أن نخرج سوية مرة أخرى

ولكن بشرط أن أدفع أنا ثمن العشاء. هزرت برأسي وقبّلت يدها مودّعا. بعد هذا بأيام قليلة توفيت أمي إثر نوبة قلبية. حدث ذلك بسرعة كبيرة ولم أتمكن من عمل أي شيء لها. وبعد بضعة أيام وصلتني عبر البريد ورقة من المطعم الذي تعيشنا فيه أنا وهي.

وكانت عليها ملاحظة مكتوبة بخط يدها : دفعتُ الفاتورة مقدما. كنت أعلم أنني لن أكون موجودة . المهم دفعت ثمن العشاء لشخصين لك ولزوجتك. لن تستطيع أن تدرك مقدار سروري في تلك الليلة التي تعشنا فيها معا أنا وأنت يا ابني. أحبك يا ولدي.في تلك اللحظة فهمت وقدرت معني كلمة حب أو أحبك.

نعم إكرام الوالدين هي أول وصية منحها الله تعالى بوعد. إذ قال في الكتاب المقدس: " أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب الإله." (خروج ٢٠ : ١٣) أي أن الله سيطيل أيام وسنو كل ابن أو ابنة تكرم والديها وتمنحهما حقهما في الاحترام والاهتمام والإكرام. نعم هذه أول وصية بوعد. تذكرت مثالا عن شخصية أخرى أكرمت حماتها أي أم زوجها في الكتاب المقدس . أجل راعوث فكتب سفرٌ باسمها. لقد تركت أرضها وعشيرتها والتصقت بحماتها بعد أن فقدت زوجها. ليس هذا فحسب، بل تركت أيضا إله أهل بيتها وتبعت الإله الحي الحقيقي إله حماتها نعمي. وهكذا بقيت معها كل أيامها . لقد أكرمها الرب حقا برجل كان ولي العائلة. تروجه الرجل وأنجب منها ولدا اسمه عوبيد هذا صار جَدًا أكبر للنبي والملك داود.

أجل إن الله يكرم كل من يكرم الوالدين ويحترمهما ويقدرهما. ليس ذلك فقط، بل أكرم الله راعوث الأممية التي لم تكن مع عائلتها تؤمن بالله الحي. صرّحت راعوث حين التصقت بحماتها بأن إله نعمي قد صار إلهها هي. وشعب نعمي هو شعبها. وهي لن تتركها إلى أن يفصل الموت بينهما. هل تصدقين هذا الوعد يا سيدتي؟ بأن كل من يكرم الوالدين، بغض النظر إذا كان امرأة أو رجلا، ابنة أم كنة، ابنا أم صهرا، فهو إنما يكرم الله نفسه الذي أوصى بهما. فهل نقدر أمهاتنا، حمواتنا، ونحاول أن نخصص وقتنا لهم لطالما كن أحياء.
